إن الإنسان منذ أن عرف التوطن ، والإستقرار ، وهو يقضي نصف حياته ، بل أكثر من النصف في السكن الذي إرتضاه لنفسه .. ومن هذا المنطلق إختلف السكن في شكله ، وأثاثه ، ونظامه الداخلي وفقاً لاختلاف ثقافات المجتمع . إذا ما استثنينا المجتمعات البدوية ، أو الرعوية المرتحلة .. لامكننا تعقب عمارة السُكْنَي أو العمارة المدنية في المجتمعات الإسلامية بسهولة ويسر ، فبطون الكتب ، والمخطوطات .. وأطلال الماضي ، ومخلفاته المعمارية تعطينا فكرة واضحه عن البيت أو الدار .. أو المنزل . أو السكن الذي كانت – ومازالت في بعض المجتمعات – تقطنه الأسرة ، أو العائلة . فالبيت كانت تقسيماته الرئيسية عبارة عن ؛ غرف ، منضرة = صالون ، صوفة= صالة ، مَضْيَفَة ، حوش ، عزبة . عنبر ، مخزن إسطبل ، طويلة = طاولة = زريبة = حظيرة ، عشه للطيور ، مطبخ ، فرن ... هذه المفردات موجود ما يقابلها في اللغات الإسلامية الآخري كالفارسية ، والتركية ، والأوردية .. الخ وهذا يدل علي أن التقسيم المعماري للبيت الشرقي الإسلامي ، واحد، أو علي الأقل متقارب .. ولم يكن المواطن ، أو الساكن الشرقي يفكر في الأزمنة السابقة في مسكن بلا حديقة ..

كانت العائلات تفضل السكني في بيوت خاصة بها .. كانت هذه البيوت تراعي المراحل العمرية لكل أفراد العائلة ؛ فللكبار ، والمسنين أماكنهم التي تمكنهم من الخلود إلي الراحة ، والعبادة والتأمل ، وللشباب غرفهم التي تطل علي الخضرة الي يهرعون إليها بعد الكد ، والتعب ، والنَصَب ليرتاحوا فيها بالنظر إلي الأشجار المثمرة ، والأزهار اليانعة .. وكنت تجد في البيوت القديمة الزوايا ، والأركان التي يلعب فيها الصغار دون أن " يُجننوا أو يُذهبوا بعقول الكبار» ..

كرم الضيافة ، وعنعناته تحتم إستقبال الضيف وقتما حل .. دون التقيد بموعد أو زمان معين . ومن هنا راعت العمارة الإسلامية . وبركة الضيف ضرورة وجود مَضْيَفة ، أو " علي الاقل غرفة " لاستقبال الضيوف ، وقتما حلّوا .. وصول الضيف لا يُسبب أي خلل في نظام البيت بل هو بالنسبة للجميع – وخاصة الأطفال – إحتفال وبهجة العائلات التراثية لا تشتري احتياجاتها يوماً بيوم ، بل تُخزن في

المخازن، وغرف الكيلار = "الكرار" مخزونا موسمياً .. في الصيف يحفظون طعام الشتاء .. لابد لكل بيت من حظيرته أو علي الأقل عشته .. فكل عائلة لابد وأن تغطي احتياجاتها من الآلبان ، ومشتقاتها ، والبيض ، والطيور من إنتاجها الذاتي .. كان من العيب أن تُشتري مثل هذه المنتجات ... علي الاقل في القري ، والنجوع ، والكفور وبعض المراكز ما زالت هذه الأمور مرعيّة ، ومطبقة .. هذا إلي جانب أن هذه الأمور تنُمي في الأطفال والأبناء حب الحيوانات ، والطيور وكيفية تربيتها ، ورعايتها ..

علي الأقل لابد أن يُربي في البيت قطة = "هرة" أو كلب أو كليهما معاً .. وفي الحديقة تغرس بعض الأشجار إلي جانب أشجار الفاكهة ، والزهور ، وعشة صغيرة للدجاج ، أو الآرانب.

لم تهتم العمارة الإسلامية بصفة عامة بالمظهر الخارجي للدور ، بل ركزت جل اهتماماتها ، وزخارفها ، وتراثها للقسم الداخلي للسكن .. إن المتاحف الاسلامية التي تزدان بها معظم عواصمنا الإسلامية . تزخر بالنماذج التي تعكس لنا نمط حياة الأجداد ، ومعتقداتهم .. ونظرتهم إلي الحياة ، وقيمهم الجمالية وتلقيهم للجمال ، والذوق .. ومشغولاتهم اليدوية ،، ومنسوجاتهم المتعددة .. فلقد كانت بيوتهم ، هي في نفس الوقت ، ورشهم الفنية .

إن الحياة الاجتماعيةالقديمة قد ربطت الفرد ببيته إلي أبعد مدي .. فالبيت ، أو الدار ، تعني الحضور ، والسكينة ، تعني الزوجة التي نسكن إليها .. والأولاد ، والأباء ، والأجداد الذين نحبهم .. ولهذا.. وبالإضافة إلي ماسبق قوله .. فقد راعت العمارة الإسلامية ظروف البيئة ، والمناخ .. والطقس .. ومفاجئات الطبيعة من حرائق ، وسيول ، وزلازل .. ومن هنا كان داخل البيت ؛ من زخارف ، وزينات ، ونقوش ، ومحتويات ، ومقتنيات هي خير ما يعكس لنا حتي اليوم نمط حياة ، وتفكير ، وسلوك ، ومعتقدات ، ونظرة الأجداد إلي الحياة .

إن إنسان المجتمعات الشرقية الإسلامية ، كان يستمتع في داره.. ومن هنا حرص علي أن تكون الدار مرتعه ، ومعمله ، في أحد أركانها يستمتع باصلاح ما فسد من آثاث البيت .

معداته .. في أحد شرفاتها يكتب خطاً جميلاً ، او يذهب مخطوطة بديعة .. أو يعمل علي نول ، أو مغزل فيبدع سجادة ، أو بساطاً ، أو كليماً ، أو جلباباً .. تُطرز في سهراتها الجوارب ، والمفارش ، والطرح ، والملاءات والستائر .. الأيد تعمل في الدار حُبّاً في العمل .. ومتعة بالعمل .. وترتفع الاكف حمداً لله علي الهبة .. والرزق .. والمشاركة في صنع الحضارة ، ووضع لبنة في رُقيها .. أو رسم بَسْمة علي وجوه صانعيها أينما كانوا .. مرت الآيام .. وتغيرت الظروف ، والمفاهيم في الأيام المعاصرة .. وتحت وطئة الظروف الإقتصادية ، والإجتماعية تم الزحف من القرية الي القصبة ومنها إلي المدينة ، ولم تعد هناك دور واسعة إلا بالنذر القليل جداً .. تغير مفهوم السكن تماماً .. لم يعد النمط السائد في عمارة السكن .. هو البيت أو الدار، بل أصبحت الشقة في الدَوْر .. والدور أي الطابق في العمارة أو البرج .. أو ناطحة السحاب ، هو نمط السكني السائد ..

لم يعد في الإمكان ، أو المقدور وجود هذه المساكن الفسيحة الواسعة .. البرَحة .. اختفت من معاجم العمارة إلا في القليل النادر مفرَدات القصور ، أو البيوت ، أو الدور.. وحل محلها التجمعات .. العشوائيات .. البلوكات .. الأبراج العمارات.. الطوابق .. الشقق . أصبح تربيه الحيوانات أو الطيور ، أو النباتات أمراً مُرعباً .. مُزْعجاً .. مُكَلّفاً .. إن السكن في العمارات الحديثة أصبح له متطلباته الآخري .. أردت أو لم ترد فانت حبيس الجدران .. تشم رائحة الخراسانة ، والبلاستيك ، يأتيك من الخارج ثاني أوكسيد الكربون مع الغبار.. وآلاف الملوثات ، ملوثات النظر ، والسمع ، والبيئة ..

إن حياة المدينة ، وليس التمدن ، هي التي سادت ، أصبحت الآعمدة الخراسانية تقوم مقام الأشجار السامقة ، وأضحت ، وأمست نسائم الرصاص . وغبار المصانع ، وعوادم المواصلات تهب علي الساكنين بدلاً من نسائم الصباح والمساء .. لم تعد المدن تُطاق .. لم يعد الجو ، أو الهواء فيها صالح للتنفس .. لابد من مراعاة أبسط قواعد التشجير ، ومساحات الخضرة .. ووسط العمارات ، والأبراج ، لابد أن نلمح الزهور والأشجار ..

* * *

نظافة المسكن

إن حياة العمارات ، والسكن في التجمعات ، والابراج السكنية في الوقت الراهن ، تفرض علينا بعض التصرفات الحضارية التي يجب مراعاتها ، والتأقلم عليها ، ومعايشتها .. لم يعد السكن في حاجة إلي تخزين المؤن لزمن طويل .. أو يتسع لمقام ضيف تطول إقامته .. ولم يعد الجيران يطيقون سماع نباح كلب ، أو مواء قطة .. أو رائحة سلح دجاجة ، أو حمامة ، أو بطة .. ولكن مازالت هناك بعض الشرفات ، أو البروزات ، أو الأركان التي يمكن أن نضع فيها غرسة ، أو زهرة .. يجب أن نحافظ علي نظافة مسكننا عل أقل تقدير .. لو لم ننظف الممرات .. أو نغسل السلالم والبسطات فماذا يمكن أن يكون عليه الحال ..

لابد من مراعاة الظروف الجديدة .. ونحاول أن نجعل لها تراثاً ، واعرافاً ، وأن نستمر في ديمومة الممكن من التراث الماضي . الأجداد قالوا "تَعْرِف الأسدَ من عرينه" والدين قد جعل النظافة نصف الإيمان .. إذا كان الأمر كذلك .. فأول ما يمكن أن نقف أمامه في نظافة البيت ، والأسرة هو مكمن الخطر عليهما .. إن مكمن الخطر ، ومرتع الأمراض ، وتكاثر الميكروبات هو عدم النظافة .. إن نظافة المكان الذي نسكنه، والمحيط الذي نعيش فيه ، هو خير وقاية من الخطر الذي يتهددنا ..

علي كل فرد في المنزل ، أو في السكن الذي نقيم فيه ، بصرف النظر عن المسمي أو المستوي ، أن يحافظ علي نظافة المكان الذي يستخدمه والأجزاء المتعلقة بهذا المكان كالحمام ، والمرحاض ، والأركان ، الخ .. القدماء قالوا "لا تخرج من المرحاض قبل أن تنظر خلفك" . وعليه فكل مَنْ يُقيم في المسكن مسئول عن نظافته ؛ وتنقسم هذه المسئولية إلي :

أ- عدم وساخة المسكن ..

ب- نظافة أو تنظيف المسكن .

١- عدم توسيخ المسكن

- لا تلج إلي داخل المسكن بحذاء كنت تلبسه ، وانت قادم من الشارع ، بل إخلع

نعليك، وأنت علي الباب.. لا تدخل إلي الغرف وأنت في ملابس ، ملوثة أو مبللة..

– يجب أن تترك الحمام ، والمرحاض ، والحنفيات نظيفة بعد استخدامك إياها .. ولا تترك العب ء علي الغير دائماً

– لابد من توفير مواد النظافة ، ومناشف تتناسب مع . أدوات المطبخ ، كلٍ حسب استخداماته ..

– عند إستخدام الآخشاب ، أو الفحم في المواقد ، والدفايات أو الشوايات فيجب الحيطة ، وعدم توسيخ المكان المستخدم .

– يجب إستخدام أكياس القمامة عند تجميعها .. وأن تكون صفائح القمامة موضوعة هى الاخرى فى أكياس بلاستيكية عند استخدامها .

– يجب فصل مواد القمامة ، ووضع الزجاجيات ، والمواد الحادة في أكياس مستقلة.. وعند إمتلاء الأكياس تربط فوهاتها جيداً ، قبل أن توضع في براميل القمامة العامة ، يجب أن يتعاون الشباب ، والأباء في مثل هذه الأمور ..

– لابد من غسل صفائح القمامة ، ومعدات جمعها من حين لآخر .. ويراعي ضرورة إرتداء التمفازات البلاستيكية ، والمرايل عند القيام بهذه الأعمال .

– إذا كان في السكن بعض الحيوانات ، لابد من مراعاة تنظيفها .. وتنظيف أماكن رقادها ، ومعداتها .. مع مراعاة أماكن تادية حاجاتها وتنظيفها فوراً ..

– إذا كان البيت حريص علي تربية بعض النباتات لابد من العناية بها .. والقيام بالنظافة اللازمة .. ، مراعاة ما تحتاجه من ماء ، وتسميد ، وتشميس .. الخ ..

– لابد من وضع المطبوعات كالجرائد ، والمجلات ، والمطبوعات الدائمة كالكتب والدوريات إن وحدت في الأماكن المخصصة لها .

– عدم إلقاء الأوراق ، أو أعقاب السجائر ، أو مخلفات الأقلام ، ومناديل الورق في أي إتجاه .

– لابد من وضع أسبات بلاستيكية في الغرف ، والحمام ، والمرحاض والمطبخ ، وتعويد الصغار علي إلقاء المخلفات فيها ..

– إذا كان للمسكن حديقة ، لابد من مراعاة تنظيفها كالمسكن تماماً ، والحرص علي متابعة ذلك . .

– عدم الكتابة ، أو الرسم علي الجدران من الداخل أو الخارج . .

– بقدر الإمكان . . بل لابد من استخدام الصابون في كل وقت ، وفي كل مكان . .

– عند كنس المكان ، أو تنفيض السجاد ، والأكلمة لابد من إزاله الأتربة حتي لا تضر بنفسك ، وبالآخرين بصفة خاصة .

– عدم إلقاء أي مخلفات ، أوصب ماء ، أو تنفيض الأبسطة من النوافذ . .

– عند تنظيف أو غسل شرفة مسكنك ، يجب مراعاة عدم صب المياه بالشكل الذي يؤذي الآخرين . .

– إذا كنت تسكن في عمارة سكنية ، يجب عدم توسيخ الممرات ، أو السلالم ، أو المصعد بحذاء موحل . . بل يجب بذل الجهد ، والعناية للحفاظ علي نظافة العمارة، والأجزاء المشتركة فيها . . وتطبيقاً للقاعدة . . "الوقاية خير من العلاج" . . يجب أن نبذل قصاري الجهد للحفاظ علي المكان نظيفًا . . فالتنظيف هو الجهد التالي للمحافظة علي النظافة .

ب- تنظيف المسكن

هناك عمليتان للنظافة ؟

١– التنظيفة الكبيرة .

٢– التنظيفة الصغيرة .

وتكون التنظيفة الكبري بصفة عامة :

أ– عند انتهاء الشتاء والإستعداد للصيف .

ب – عند انتهاء الصيف والدخول في الشتاء .

أ- تنظيفة الصيف

في المجتمعات الاسلامية ذات الأجواء الباردة ، والتي تحتم استخدام المدافيء بانواعها، والتي يترتب عليها دخان ، وهباب .. وما شابه ذلك ، فلابد من الدهان ، والبياض وما شابه ذلك ..

– رفع الآغطية الصوفية ، والسجاجيد ، والأكلمة ، وتنظيفها ، وحفظها ..

– حفظ الملابس الشتوية كالبلاطي ، والمعاطف ، والبلوفرات والأبوات ، والأحذية الشتوية بعد تنظيفها ..

– إخلاء دواليب الملابس وصناديقها .. وغسل وتنظيف مفارشها ، وإعادة ترتيب محتوياتها ..

– غسل الستائر ، وما شابه ذلك ..

– حفظ الملابس الصوفية بعد وضع النفتلين لحفظها من العتة .

– إعادة تنظيف البيت من القمة حتي القاع كما يقال . تتم كل هذه الآعمال تحت إشراف الأم ، وبقية أفراد الأسرة .كل يشارك حسب مقدرته ، وخبرته .. فمثلاً أعمال البياض ، والبويات تقع علي عاتق الذكور ، بينما أعمال الغسيل ، والمكواة ، والترتيب تقع علي عاتق الإناث .

ب- تنظيفة الشتاء

عقب إنتهاء موسم الصيف ، وقبيل الدخول في موسم الشتاء ، تبدأ عملية النظافة الثانية .. وأغلبها متعلق بالتدفئة ، في المناطق القارسة البرودة ، تتم عمليات الصيانة لمعدات التدفئة ؛ المدافيء .. أجهزه التكيف ، تخزين لوازم التدفئة كالفحم أو الخشب ، أو الجاز ، أو الغاز وتخزينها في الأماكن المعدة لذلك .

– القيام بتنظيف مواسير ، ومداخن المدافيء ..

– غسل الستائر وما شابه ذلك .

– إعداد وتجهيز النباتات التي في الحديقة أو الأركان لدخول الشتاء .

– رفع الملابس الصيفية ، وحفظها بالشكل المناسب ، وإخراج الملابس الشتوية ، وإعدادها للإستخدام . .

– معاودة تنظيف أعماق المخازن ، والعنابر ، والأركان وتحت الأسِرة ، وخلف الدواليب ، وخزائن الكتب وما شابه ذلك .

٢- التنظيف الصفير- البسيط

تنقسم هذه العملية إلي :

أ- تنظيف يومي ،

ب – تنظيف أسبوعي ،

جـ – تنظيف شهري .

وتشمل الملابس ، والأرضيات ، ومسح الزجاج، إزالة الاتربة ، تنفيض السجاجيد، والأبسطة ، والأكلمة . . تلميع أدوات المطبخ ، والبانيو ، والحمام ، والتواليت والأرضيات الخشب ، وجلي النحاسيات ، والأدوات المنزلية . . وتلميع الموبيليات .

– تنظيف الغسّاله ، والثلاجة = البرادة أي إعادة التشغيل بعد التنظيف . . والتركيز علي نظافة الأجزاء البيضاء .

يمكن أن يُشارك كل أفراد العائلة في مثل هذه الآعمال بانفسهم كل حسب طاقته، وقدرته حتي لا يذهب جزء من ميزانية الأسرة إلي الخارج ، مقابل هذه الأعمال ، كلها علي عاتق الأم وحدها فتُرهق الأم وتتعب من جراء ذلك . ويمثل ذلك ظلماً لها يجب الا ننسي ، أن المسكن مال مشترك ، ما عدا الأجزاء ، والأشياء الخاصة جداً . . ويجب الترفع ، والتعالي علي الآنانية ، والذاتية في هذا المكان المشترك . وإنطلاقاً من هذا الإشتراك أو المشاركة في الإنتفاع ، والإستخدام لابد أن تكون هناك مشاركة في تحمل مسئولية الصيانة ، والنظافة ، والحفظ ، والعناية ، وأن يبتعد الجميع عن أي تصرف فيه ضرر بميزانية الأسرة . . أو تحميلها مالا تطيق . وبداً في يد نتعلم إلي جانب النظافة ، والنظام . . التعاون في العمل الجماعي . .

* * *